الجزء الخامس ـ السنة الرابعة
شوال ١٣٨٧هـ
كانون الثاني ١٩٦٨م

المستشرق الالماني البروفيسور يوهان فك

والمغور اللاجوي

في الحراوه

عبدالحميد العلوجي

ان الذي اعرفه عن يوهان فك لا يستطيع ان يسبغ على بحثي طابع التكامل ، لان هذا الرجل ما يزال مجهولا لدى المثقفين العرب ، ولانه ـ فوق ذلك ـ لم يكن رهين مرجع معروف او مصدر شائع ، ومن هنا صعوبة الوقوف على جميع النقاط التفصيلية التي نسجت حياته العريضة ٠

لقد علمت ـ بعد مطالعة عدد من الكتب والمجلات ـ ان يوهان فك قمة شامخة من قمم الاستشراق الالماني ، وانه بمثابرته الناشطة بلغ مرحلة الاجتهاد في علوم اللغة العربية ٠٠٠ ولم ينازعه فيها منازع ٠

وعلمت ايضا انه ولد في سنة ١٨٩٤ ، وعاش طفولته ويفاعته في حقبة فكرية متناقضة دام تأثيرها حتى الثلث الاخير من القرن التاسع عشر ، وعاش شبابه في حقبة سياسية طغى عليها برنامج بسمارك Bismarck التوسعي الذي خدع المانيا برخائها الموهوم قبل الحرب العالمية الاولى ٠٠ بيد انه عند قيام هذه الحرب سنة ١٩١٤ بوغت ، ومعه الجماهير الالمانية ، بسياسة وليم الثاني Wilhelm II الهجومية التي ساعدت على اشتعال الحرب ، ثم تنفس الصعداء مع المتنفسين عند ما نشبت عام ١٩١٨ الثورة الاشتراكية الديمقراطية التي قهرت العاهل الالماني على التنازل عن العرش ٠٠ ولكن يوهان فك ذاق مع الشعب الالماني ويلات البطالة الجماعية خلال سنة ١٩٢٣ ، وشهد المأساة الكاملة اثناء الازمة الاقتصادية التي جرت بلاده سنة ١٩٢٩ الى هاوية الافلاس ، وهو رغم ذلك لم ينقطع عن البحث والتحصيل الجامعي ، والتوغل في رحاب الاستشراق

وانني ـ حتى هذه اللحظة ـ اجهل الدوافع المباشرة التي حملت يوهان فك على دراسة الادب العربي وفقه اللغة العربية ٠ ويبدو من بعض الملاحظات التي نشرها المستشرق رودي پارت Rudi Paret في كتابه (الدراسات العربية والاسلامية في الجامعات الالمانية) ان يوهان فك بلغ شأوا بعيدا في ميدان الاستشراق قبل قيام النازية في المانيا ، وانه كان احد تلامذة المستشرق جوزيف هوروڤتس Josef Horovitz خلال السنوات الواقعة بين ١٩٢٠ و ١٩٣١ ومنه اكتسب القدرة على وزن النصوص العربية بميزان النقد والحرص دعما لابحاثه وكتاباته بالثقة التي كان يطمح اليها ٠٠ ولذلك اصبحت ملاحظاته ومعلوماته الصائبة مؤئل الاعجاب والاحترام ٠

وعلى عهد النازية التي خنقت الحياة في المانيا منذ سنة ١٩٣٣ انزوى يوهان فك يعمل ويبحث في صمت ويدرس دونما ضجيج ، واشتهر بين المستعربين الالمان والاجانب باسم الاستاذ الهالوي (نسبة الى مدينة هالة Halle الالمانية) ، واعتبرته المعاهد الشرقية والاكاديميات ـ في كل مكان ـ من نوابغ مدرسة المستشرق الالماني اللامع فيشر August Fischer هذه المدرسة الموصوفة بالنشاط والصبر في تشييد دراساتها الرصينة وتعزيزها بسلامة الاحكام وصحة المقدمات وقوة النتائج ٠

وهكذا توفرت ليوهان فك الاداة التي صاغت له النبوغ المبكر في حقل الدراسات العربية والاسلامية طيلة وجوده في هاله وليبزك Leipzig

أما مؤلفاته ودراساته فالذي اعرفه منها دون الذي اجهله ٠٠ وقد علمت بعد جهد انه نشر مقالات عديدة عن محمد (ص) والقرآن الكريم والحديث الشريف

وبعض ملامح الادب العربي في امهات المجلات الاستشراقية ٠٠ ولا سيما مجلة الجمعية الشرقية الالمانية
Zeitschrift der Deutschen Morgelaendischen Gesellschaft. ومن المؤسف انني لم اقف عليها ،
وانه في سنة ١٩٢٥ دفع الى احدى مطابع فرانكفورت على نهر المين Frankfurt am main كتابه عن (محمد بن اسحاق) صاحب السيرة النبوية الضائعة ، ولم يكن هذا الكتاب سوى رسالة جامعية فتحت لـــه اكثر من باب للتوفيق والسداد في دراساته الاخرى ٠٠ وهذه الدراسة رغم الحقد الذي صبه عليها احد مستشرقي المانيا الغربية، ورغم اتهام مؤلفها بالعجز عن قراءة المخطوطات العربية٠٠ ستبقى دراسة جادة وسليمة ما دام مضمونها يتخطى جميع الدراسات المعقودة على محمد بن اسحاق ٠ ومما يجـدر بالتنويه ان الدكتور محمد يوسف موسى (من جماعـة الازهـر للنشر والتأليف) سبق أن أعلـن سـنة ١٩٥١ نهوض الاستاذ يوهان فك بتحقيق كتاب (الفهرست) لابن النديم٠٠ غير انني لم اعثر على ما يؤيد هذا الاعلان ولكن حين وقعت بين يدي الترجمة العربية لكتاب (العلم عند العرب) الذي وضعه الباحث الايطـالي آلدو ميلي Aldo Mieli سنة ١٩٣٨ استقرت عيني في احـدى صفحاته على هذه العبارة : « علمت في اللحظة الاخيرة ان الجمعية الشرقية الآن تستعد لطبع كتاب الفهرست مـن جديد بتحقيق قام به « يوهان فك » ٠٠ ورغم ادعاءات آلدو ميلي هذا لم اجد في قوائم المطبوعات الالمانية ما يؤكد قيام يوهان فك بذلك المشروع ، ولكني قبل ايام معدودة قرأت في الجزء الرابع من المجلد الخامس والاربعين من مجلـة المجمع العلمي العربي بدمشق الصادر في تشرين الاول سنة ١٩٧٠ بحثا لرئيس سابق من رؤســاء جامعـة بيروت الامريكية عن فهرست ابن النديم ، وقد وجـدت صاحب البحث يؤكد ان يوهان فك لم ينشر من فهرست ابن النديم الا الترجمة الانكليزية للمقالة العاشرة المتعلقة بعـلم الكيمياء ، وانه نشرها عام ١٩٥١ فى احدى المجـلات الدورية الاوربية ٠

وايا كان الامر ، فان ليوهان فك ـ اضـافة الى مـا تقدم ـ مؤلفات اخرى اكسبته شهرة وضاءة في جميـع الاوساط العلمية ، ومن ابرز هذه المؤلفات كتابه (العربية: دراسات في اللغة واللهجات والاساليب) الذي نشره سنة ١٩٥٠ ، وقد نقله الى العربية وحققه وفهرس له الدكتور عبدالحليم النجار ثم طبعه في القاهرة سنة ١٩٥١ ٠

وعن هذا الكتاب قال المستشرق الالماني رودي پارت انه كتاب اساسي في تاريخ اللغة العربية ، وقال الدكتور احمد أمين انه شرح لنا تدرج الالفاظ والاساليب من اول هجرة القبائل العربية التي رافقت الفتوح الى القرن الرابع الهجري ، وله فضل السبق ، وقد استحق الثناء العظيم على ما بذل مؤلفه من جهد ، وقال الدكتور محمد يوسف موسى انه مجموع من البحوث القيمة ، وهو دراسات في اللغة العربية ولهجاتها واساليبها وتطورها مع تطور الزمان، وهو ايضا دراسات عميقة تقوم على الملاحظة القوية لحياة هذه اللغة وتطورها وعوامل هذا التطور ومظاهره في ادوار التاريخ وفتراته المختلفة حتى هذا العصر الذي نعيش فيه، ويزيد من نفاسة هذه الدراسات انها نتيجة عمل دقيـق اساسه الصبر والهمة ٠

ومن مؤلفات يوهـان فك ايضا كتابه المعـروف (الدراسات العربية في اوربا من القرن الثاني عشر الى مطلع القرن التاسع عشر) الذي نشره سنة ١٩٤٤ ضمن كتاب اصدره الناشران ريچـارد هارتمان Richard Hartmann وهلموت شيل Helmuth Scheel بعنوان (مساهمة في العلوم العربية والساميات والعلوم الانسانية) وقد اكمل يوهان فك في هذا الكتاب ما اراد وصفه حتى سنة ١٩١٤ واجتاز مدى هذه السنة ليستوعب آثار العلماء الموتى لانه كان يحترم تراث الاحياء احترامه لتراث الاموات ٠

ثم تناول يوهان فك كتابه هذا من جديد بالزيادة والاضافة ، ونشره في سنة ١٩٥٥ بمدينـة ليبزك بعنوان (الدراسات العربية في اوربا منذ البداية الى مطلع القرن العشرين) وهو في هذا الكتاب لم ينـوه بالمتخصصين في الدراسات العربية الذين كانوا احياء ايام تأليفه الكتاب ، لانه لم يشأ ان ينصب من نفسه خبيرا يقيم زملاءه خوفا مما يشبه التعسف في الحكم عليهم ٠٠ ولكن ذلك لم يحل دون الرجوع الى كتابه هذا كمصدر اساسي في تاريـخ الاستشراق الاوربي ٠٠ حتى ان رودي پارت ـ وهو زميل يوهان فك في التخصص ـ اعترف في كتابه (الدراسات العربية والاسلامية في الجامعات الالمانية) بانه في عرضه لتاريخ الاستشراق الالماني منذ تيودور نولدكه Theodor Nöldeke حتى العقد الرابع من القرن العشرين قـد استعمل كتاب يوهان فك كثيرا ، واتبعه احيانا حتى في التعبير اتباعا وثيقا ٠٠٠

والجدير بالتنويه ، في هذا الصدد ، ان المستشرق الالماني برتولد شبولر Bertold Spuler اهتم منذ سنة ١٩١١ باخراج (دليل الاستشراق) ذلك الكتاب المنهجي الهادف الذي اسـتخدمه طلاب الدراسـات العربيـة والاسلامية في فتح النوافذ على علوم الاستشراق المختلفة، وقد ظهر هذا الدليل في عدة مجلدات كان ألمعها المجـلد الخاص بالاديان الذي طبع سنة ١٩٦١ وفيه فصول شتى عن الملل والمذاهب الاسلامية حررها اكابر المستشرقين من امثـال رودولـف شـتروتمان Rudolf Strothmann وكان بينهم صاحبنا يوهان فك الذي عقد فصلا كاملا على مذاهب اهل السنة ٠

وفي سنة ١٩٦٨ اصدرت جامعة هالة في جمهوريـة المانيا الديمقراطية كتابا تذكاريا بمناسبة مرور مائة عام على مولد المستشرق كارل بروكلمان Carl Brockelmann بعنوان (الدراسات الشـرقية بمناسـبة ذكرى كـارل

بروكلمان) وقد اشترك في تأليف مقالاته اصدقاء وتلاميذ الفقيد الكبير وكان من بينهم يوهان فك بدراسته عن (محمد بن سعد العوفي) التي قضى فيها على اوهام المؤلفين العرب حين اعتقدوا ان العوفي هو محمد بن سعد كاتب الواقدي ٠

وليوهان فك بعد ذلك مقالات تذكارية معروفة ، اشهرها ما كتبه عن استاذه اوگست فيشر الذي توفى سنة ١٩٤٩ ، وكذلك الترجمة الكاملة التي وضعها للمستشرق كارل بروكلمان ، وهي التي نقلها الى اللغة العربية الاستاذ محمد علي حشيشو ، ونشرها في الجزء الخامس عشر من مجلة (فكر وفن) الصادرة في هامبورغ Hamburg سنة ١٩٧٠ ٠

ولربما كان لصاحبنا ايضا مؤلفات ودراسات اخرى، ولكني لم اوفق الى الوقوف عليها لقلة الزاد وبعد الراحلة، وهي بلا شك على جانب من الاهمية ، ولو لم تكن كذلك لما تبوأ صاحبها ذلك المركز العلمي المرموق الذي جعله مثابة لمعاصريه من العلماء والمستشرقين ٠

ان فك لغوي قبل ان يكون مؤرخا ، وانه يحسن الى جانب لغته الالمانية مجموعة لغوية اخرى منها العربية والانكليزية والفارسيه واللاتينية والسريانية والفرنسية ، وانه يعتبر حجة في فقه اللغة المقارن لانه استهلك شبابه وكهولته فيلولوجيا لامعا ومتأملا مدركا في الظاهرة البكر التي استقامت احدى مقومات التطور اللغوي في العربية الراهنة ٠

لقد شاع عنه انه يلتهم المطبوع العربي كتابا او مجلة دونما ارهاق يعتريه ، فيستخلص منه ما يراه قمينا بالدرس والمناقشة ومما يذكر عنه انه كان خلال ١٩٣٢ـ ١٩٣٤ من قراء مجلة ابولو التي اصدرتها في القاهرة جماعة ابولو برئاسة احمد زكي ابو شادي لتكون متنفسا للشعراء الشباب ولتلعب دورها الكبير في تطوير الشعر العربي وقد قرأ يوما في احد اعدادها قصيدة للشاعر خليل شيبوب فأستوقفه تعبير (الاطيفال الجياع) ، وقد الهمه هذا التعبير مقالة رائعة عن (تصغير الجمع) في اللغة العربية نشرت في المجلد التاسع من السلسلة الجديدة لمجلة جمعية المستشرقين الالمان ZDMG وهذا يدل على ان استاذنا يتمتع بحس لغوي فريد، وقد وجدته كذلك في الفصول الاولى من كتابه (الدراسات العربية في اوربا) فهو حين عالج بداية الاستشراق في الغرب ذهب الى ان الدراسة العربية من خلال الجدل الفكري بين النصرانية والاسلام حازت مركزها المرموق غير آبهة باهواء الطبقات الحاكمة في اوربا التي كانت تمقت التراث العربي ٠٠ لكنه اعترف صادقا بان حافز الترجمة الى اللاتينية لم يقد المستشرقين الى دراسة العربية دراسة فيلولوجية فقهية ، وان اقدم الترجمات اللاتينية للقرآن الكريم صاغت الفكرة بمعزل عن الشكل والاسلوب اللذين يمتاز بهما الاصل العربي ٠٠ وهذا ما تشبث به الغرض الرسالي للكنيسة الكاثوليكية الذي كلف نفسه صرف الانتباه عن المقاطع الحسية للسور القرآنية مكتفيا بالقناعة المنطقية فقط ٠

ويبدو مما كتبه يوهان في تلك الفصول انه اسبغ على الاوساط التي اجهدت نفسها خلال القرن الثاني عشر في مقارعة الاسلام فضل المشاركة الاولى في الصناعة المعجمية ٠٠ ولكنه ، من زاوية اخرى ، فضح ما في الترجمات اللاتينية من انحراف ينسجم والمصطلحات الكنائسية ٠٠ كاستبدال لفظة (منبر) بـ (كرسي) ولفظة (مقبرة) بـ (دير) ٠

وقد اتهم يوهان فك الترجمات اليهودية بتعمد التحريف مؤكدا على ان اصحابها كانوا يضعون الكلمة المخطوءة فى مكانها المناسب وغير المناسب ، ولذلك جاءت نصوصهم المترجمة فاسدة ، يحتاج اكثرها الى اعادة النظر وادت موضوعية هذا الباحث العظيم الى التنديد بالرهبان الشحاذين وغيرهم من متعصبي الوعاظ المتجولين باعتبارهم ابرز المروجين للترجمات المشوهة ، ولذلك لم يمنح يوهان فك تلك المخططات الا ثقة مثلومة ٠ وتناول فك معجم المفردات العربية اللاتينية (الذي ما يزال مؤلفه مجهولا) بالنقد العادل ، فهو من جهة يعترف بقيمته الكبيرة في معرفة اللهجة العامية العربية التي سادت اسبانيا ابان القرن الثالث عشر ، ولكنه من جهة اخرى يعترف بانه لم ينبع من مصلحة فيلولوجية نزيهة ، ويضرب لذلك مثلا كلمة (الغازي) وهو المكافح العقائدي المسلم ٠٠ فهذه الكلمة لم تجد ما يقابلها في المعجم المذكور الا كلمة (القرصان) ٠

ومن جديد ، حمل يوهان فك على ما اسماه الهجوم التلمودي الذي اراد السيطرة على الحركة الاستشراقية خلال القرن السادس عشر ، والهيمنة على النصوص العربية المترجمة الى اللاتينية ٠٠ وذلك تثبيتا لوصاية العبرية (باعتبارها عند التلموديين لغة مقدسة) على حكمة الشرق الغامضة ، وادخالها في ربقة الغراماطيق اليهودي بمعزل عن المنهج الفيلولوجي السليم ٠

وبهذه البراعة ، وبهذه الالمعية واجه يوهان فك التطور اللهجوي فى العراق ـ فهو ـ كما وجدته في كتابه « العربية » يرى ان ظهور الاسلام كان اهم حدث في تاريخ اللغة العربية وتقرير مصيرها ٠٠ اذ جعل الاسلام من اللغة الفصحى نموذجا مفروضا ومثلا أعلى يقتفيه كل كاتب عربي ٠

ويعتقد يوهان فك ان هجرة القبائل العربية بعد وفاة محمد (ص) كانت ايذانا بشروق عصر لغوي جديد فقد حملت قبائل البادية ـ مع السنين ـ لهجاتها في غزوات الفتح نحو الشمال الى ما بين النهرين وادى عهد الفتح الى بث روح من القوة في صميم العربية

والى توحيد لهجات البدو انفسهم في لهجة مشتركة وضعت الاساس للعربيه الفصحى في القرون المتاخرة ٠

ويذهب صاحبنا ايضا الى ان العلاقات الانتاجيه بين الغالب والمغلوب كان لها بعض الاثر في تكييف العلاقات اللغويه ، فنشأت بالضرورة لغه عاميه للتفاهم استعانت بأبسط وسائل التعبير اللغوي وبسطت المحصول الصوتي ونفرت من صياغة القوالب اللغوية ونظام تركيب الجمله ومحيط المفردات وتنازلت عن التصرف الاعرابي مكتفيه ببعض القواعد المحدودة في مواضع اللبس للتعبير عن علاقات التركيب ٠

وقد وجد يوهان فك نموذج هذه اللغة في قصة تاجر الدواب النبطي الذي باع جنود المسلمين دواب رديئة فاستنطقه الحجاج بن يوسف ، فاجابه التاجر بقوله :ـ « شريكاتنا في هوازها وشريكاتنا في مداينها وكما نجيء تكون » ٠٠ اي ان هذه الدواب قد وصلت على ما هي عليه من رداءة من شركائه في الاحواز والمدائن ٠

ويرى يوهان فك ان هناك جماعات غير عربية وقعت في الاسر خلال حروب الفتح ، ودخلت معسكرات الفاتحين عبيدا واماء ، فوجدت نفسها متغلغلة في جو لغة عربيه مشتركة ، واضطرت الى استعمال لغة السادة ٠٠ وفي هذا لقيت العربية على لسان هؤلاء تغييرات هددت قوامها وتركيبها بالمسخ في الصميم واستقام لهذا التطور طابع مميز بحيث كان العربي يدرك ما اذا كان الناطق فارسيا او نبطيا ٠

وعقيدة فك ان الهوة الواسعة التي كانت تفصل بين الطبقه العربية الحاكمة وبين الجماهير الغفيرة من رعاياها حتى سقوط الدولة الاموية عام ١٣٢هـ (= ٧٥٠م) لم تكن ابعد اثرا في اقتحامها والتغلب عليها من التسرّي واقتناء السادة للجواري ٠٠ وهكذا نشأ جيل بين امهاته كثيرات من غير العربيات ، وكان لابد ان يترك هذا الجيل اثرا بعيد المدى في العلاقات اللغوية ، وان تأخذ الشبيبة الناشئة تحت تأثير هذه العلاقات شتى الظواهر اللغوية من لغة التفاهم الدارجة التي كانت غريبة عن العربية ٠

ويؤكد يوهان فك ان الثلث الاخير من القرن الاول للهجرة (= السابع الميلادي) شهد نمو العربية المولدة المتكونة من العوائد الدارجة في مناطق العربية القديمة ٠٠ وكيف اخذ هذا النمو حدا لم تتوقف فيه الاخطاء اللغوية عن الظهور حتى في الدوائر الاولى من المجتمع العربي ٠٠

ويرى صاحبنا ان هذه التجديدات كانت تعد عند العرب الشاعرين بجمال لغتهم خطأ لغويا ٠٠ أي لحنا ٠ ولهذا قامت بينهم حركة رجعية ضد فساد اللغة ، ونشأ من ذلك في اواخر القرن الاول مبدأ تنقية اللغة العربية ٠

وادخل يوهان فك في حسابه ان المجتمع العربي في العراق على عهد الامويين لم يكن وحده الذي يعترف بالعربيه على انها اللغه الرفيعه بل الدوائر الاسلامية غير العربية من طبقة الموالي كذلك ، فقد كانت في سبيل طموحها الى محاكاة الطبقة السائدة فيها تفعل تجري هذه ايضا في الناحية اللغوية وتحتضن مبدأ تنقية اللغة العربية ٠٠

ومن جميع ما تقدم استنتج يوهن فك ان تشدد الطبقه العليا من العرب في المحافظة على العربية التي كانت معرضة دائما لخطر الفساد والانحلال في المدن بما تحوي عليه من سكان اخلاط ، وان ظهور حركة تنقية اللغة العربية وطموح المسلمين الجدد البعيدي الهمة الى امتلاك ناصية العربية بجميع دقائقها واسرارها ٠٠ كل ذلك قد اوجد الدافع في نهاية القرن الاول ، الى دراسة القواعد تحديدا للاستعمال اللغوى الصحيح بصورة اساسية ٠

وتكلم يوهان فك بعد ذلك على المرحلة الجديدة التي قطعها تاريخ اللغة العربية في العصر العباسي الاول ٠٠ تلك المرحله التي دعا اليها الانتقال من حياة البداوة الى حضارة المدن ، وتغلغل غير العرب في مناطق الادب، ومذهبه حول هذه المرحلة ان الحياة الجديدة اوجدت لغة سهلة واضحة احتذاها المثقفون جميعا في العالم الاسلامي دونما تمييز بين لغة اصلية ولهجة محلية خاصة ولهذا اصبح الاسلوب الحقيقي للغة الدولة الجديدة يحمل سمات مولدة ٠ ورغم ذلك يؤكد يوهان فك أن النحو العربي لم يسلم من خطر الاستبداد بالحياة الواقعية واكراهها في وضع قواعده، وان علماء اللغة لم يتفقوا ابدا في وجهات النظر نحو الاستعمال اللغوي الصحيح ، وقد انضم الى ذلك الخلاف المدرسي بين البصريين والكوفيين ٠٠

ولم ينس يوهان فك ان العيب باللحن منذ بداية العصر العباسي اخذ ينتشر بحق او دون حق لاتهام الخصم بانه غير مثقف ، وللحط من شأنه في اعين معاصريه وكان الطعن باللحن يوجه ايضا الى دوائر علماء الفقه ٠

وبعد ان استقرت أسس دولة الخلافة ببغداد في عهد الرشيد قدم لها ثراءها العريض الذي كان يعتمد على غلات أخصب مناطق الشرق كافة وسائل ازدهار الثقافة والحضارة ٠ وكان الخليفة جوادا على الشعراء والعلماء والمواسقة ٠ ويرسخ يوهان فك على ان علوم العربية أخذت في عهده نهضة جديدة اقترنت بأسماء لامعة كالاصمعي وابي عبيدة وابي زيد والكسائي ، وان عند هؤلاء الرجال جميعا كانت لغة البدو هي النموذج الرفيع ٠ وبذلك كانوا دائما في خلاف شديد مع اللهجة الدارجة بين الجماهير الواسعة ٠ واشار يوهان فك الى ان حركة تنقية اللغة العربية في عهد الرشيد قد نضجت تماما وان مقتضياتها قد احتذاها الشعر الرفيع ٠ فمثلا أشعار أبي نؤاس كانت خالصة من اللحن اللغوي خلوصا عجيبا

رغم تشبثه بالحرية الشعرية • ويؤمن يوهان فك بان عصر هارون الرشيد هو العصر الذى وجدت فيه لغة الشعب للمرة الاولى مساغا في التعبير الادبي • فقد كانت اللغة الدارجة التي كانت تتفاهم بها الطبقات الوسطى والدنيا من سكان المدن تعد عربية مولدة في نظر التاريخ وقد أخذت هذه العربية المولدة تكتسب مناطق جديدة بسبب التغييرات السياسية والاقتصادية التي أحدثها سقوط الدولة الاموية •

ويعتقد يوهان فك ان عصر المأمون هو العصر الذهبي للادب العربي وان الجاحظ قد رسم صورة صادقة للعلاقات اللغوية في هذا العصر وان الشعر الرفيع حاول كما في قصائد الاعياد والمناسبات ، أن يقترب من المثل العليا للكمال اللغوي وان يبدو في قصائد المصادفات أقوى تأثرا باللغة الدارجة •

وشهد القرن التاسع للميلاد انحطاط المستوى العام للثقافة اللغوية ويؤكد يوهان فك ان هذا الانحطاط امتد الى كتاب الدولة ووزرائها ، فألف ابن قتيبة كتابه (ادب الكاتب) لعلاجه وكفاحه ، وهو كتاب يعلمنا كيف ينبغي للمثقف في القرن الثالث للهجرة أن يعبر عن أفكاره بالنطق والكتابة ويبين الاخطاء التي يجب عليه أن يتجنبها •

ويرى يوهان فك ان مستوى اللغة الفصحى قد انحط يومئذ ، اذ كان عوام الاتراك هم أصحاب الكلمة في القصر حتى وصل الامر أخيرا بأسماعيل بن بلبل وزير المعتضد الى ان يتكلم اللغة الدارجة في مجالسه واضافة الى ذلك اخذ النمو اللغوي يغالب العربية الفصحى التي صاغ النحاة قواعدها ، ويمعن في عزلها من جميع مناطق اللغة الدارجة •• لكنها رغم ذلك ظلت في الادب الملكة المتوجة التي أقسم لها يمين الطاعة كل من أدعى الى الثقافة بنسب أو سبب • ويعتقد يوهان فك ان النتائج التي ترتبت على ذلك النمو اللغوى بالنسبة للاسلوب قد عالجها وأبرزها قدامة بن جعفر في كتابه (نقد النثر) • ولم يغب عن يوهان فك ان الخطوات الاولى لذلك التطور سجلت بصدق تحول النثر العربي المسجوع الى تلاعب لا طائل تحته بالالفاظ الجوفاء • أما على الصعيد الشعري فان اللغة الدارجة ـ وهذا رأي الاستاذ فك ـ قد ظهرت في اشعار القرن العاشر الميلادي التي اشتمل عليها كتاب (يتيمة الدهر) للثعالبي ، وقد قدم فك مثلا لذلك اشعار ابن الحجاج الذي لم يتورع من تحقير مبدأ تنقية اللغة • واستخدام يوهان فك لاول مرة كتاب (أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم) للمقدسى في معرفة جغرافية الكلمات •• فهو يعتقد ان انحلال الدولة العباسية الى أكثر من عشر دويلات مستقلة قد أذن بأبتداء عهد جديد للعربية المولدة •• يتجلى في ظهور لهجات أقليمية في كل مكان ، وقد استعان فك بالمقدسى بأعتباره اول جغرافي عربي اقدم على محاولة تمييز كل اقليم من الوجهة اللغوية بذكر التعبيرات المحلية الخاصة به • وأخبرنا فك بأن هذا الرجل وصف عربية العراق بأنها حسنة فاسدة وانه يعد لهجة بغداد أجمل اللهجات العربية وأحسنها لسانا ••على الرغم من اعترافه بأستهجان اللحن اللغوي على لسان قاضى القضاة ببغداد دون أن يرى احد في ذلك عيبا •

وفي مواجهة العصر السلجوقي اعترف يوهان فك ـ بعد استقراء الشواهد ـ بتكاثر الاخطاء في قواعد العربية الفصيحة ، ونضوح اللهجات المولدة بقوة طاغية على لغة الادب •

وعند هذه الحدود يقف يوهان فك قليلا ليعلن ان العربية الفصحى بما لها من مركز عالمي ستبقى رمزا لوحدة العرب في الثقافة والمدنية ، وان جبروت التراث العربي الخالد أقوى من كل محاولة تستهدف زحزحة العربية عن مقامها المسيطر ••

ذلكم هو يوهان فك ، وهذا هو موقفه من التطور اللهجوى في العراق •• وقد كلفني انتزاعه من بين مئات الشواهد والوقائع ان انفق وقتا طويلا ولست اقول شيئا عن تجريد هذا الموقف من مئات المراجع العربية التي اعتمد عليها مشرقنا العظيم •• لانني لو ذكرت مجرد اسمائها لدلت على ماله من اطلاع عميق على تراثنا ••